حكمة الكف عن القتال في مكة

العقيدة بحاجة إلى رعاية ومداومة لا يكون للعجلة والفوضى فيهما نصيب

استعان النبي بالمساواة بين أفراد الجبهة وإعطائهم كامل الحرية لتعزيز ترابط المجتمع الداخلي ■ المحبة بين المؤمنين من أفضل الأعمال ولها أفضل الدرجات عند الله

الناظر في الفترة المكية، والتي كانت ثلاثة عشر عامًا، يجد أنها كلها في تربية وإعداد وغرس لمفاهيم لا إله إلا الله، يدرك ما لأهمية هذه العقيدة من شأن في عدم الاستعجال، واستباق الزمن، فالعقيدة بحاجة إلى غرس يتعهد بالرعاية والعناية والمداومة، بحيث لا يكون للعجلة والفوضى فيها نصيب، وما أجدر الدعاة إلى الله أن يقفوا أمام تربية المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأصحابه على هذه العقيدة وقفة طويلة، فيأخذون منها العبرة والأسوة؛ لأنه لا يقف في وجه الجاهلية أيًا كانت قديمة أو حديثة أم مستقبلة، إلا رجال اختلطت قلوبهم ببشاشة العقيدة الربانية، وتعمقت جذور شجرة التوحيد في نفوسهم.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بضبط النفس والتحلي بالصبر، وكان يربي أصحابه على عينه، ويوجههم نحو توثيق الصلة بالله، والتقرب إليه بالعبادة، وقد نزلت الآيات في المرحلة المكية: «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» فقد أرشدت سورة المزمل الصحابة إلى حاجة الدعاة إلى قيام الليل، والدوام على الذكر، والتوكل على الله في جميع الأمور، وضرورة الصبر، ومع الصبر الهجر الجميل، والاستغفار بعد الأعمال الصالحة.

كانت الآيات الأولى من سورة المزمل تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخصص شطرًا من الليل للصلاة، وقد خيره الله تعالى أن يقوم للصلاة نصف الليل، أو يزيد عليه، أو ينقص منه، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه معه قريبًا من عام، حتى ورمت أقدامهم، فنزل التخفيف عنهم، بعد أن علم الله منهم اجتهادهم في طلب رضاه، وتشميرهم لتنفيذ أمره وميثاقه، فرحمهم ربهم فخفف عنهم، فقال: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

كان امتحانهم في الفرش، ومقاومة النوم، ومألوفات النفس، لتربيتهم على المجاهدة، وتحريرهم من الخضوع لأهواء النفس، تمهيدًا لحمل زمام القيادة والتوجيه في عالمهم، إذ لابد من إعداد روحي عال لهم، وقد اختارهم الله لحمل رسالته، وائتمنهم على دعوته، واتخذ منهم شهداء على الناس، فالعشرات من المؤمنين في هذه المرحلة التاريخية كانت أمامهم المهمات العظيمة في دعوة الناس إلى التوحيد، وتخليصهم من الشرك، وهي مهمة عظيمة يقدر على تنفيذها أولئك الذين: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا». وقد وصف الله قيام الليل والصلاة فيه وقراءة القرآن ترتيلا -أي مع البيان والتؤدة- بقوله: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا» فهو أثبت أثرًا في النفس مع سكون الليل وهدأة الخلق، حيث تخلو من شواغلها وتفرغ للذكر، والمناجاة بعيدًا عن علائق الدنيا وشواغل النهار، وبذلك يتحقق الاستعداد اللازم لتلقي الوحي الإلهي «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»، والقول الثقيل هو القرآن الكريم، وقد ظهر أثر هذا الإعداد الدقيق للمسلمين الأوائل في قدرتهم على تحمل أعباء الجهاد وإنشاء الدولة بالمدينة، وفي إخلاصهم العميق للإسلام وتضحيتهم من أجل إقامته في دنيا الناس ونشره بين العالمين.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مهتمًا بجبهته الداخلية، وحريصًا على تعبئة أصحابه بالعقيدة القوية التي لا تتزعزع ولا تلين، وكان هذا مبعثًا لروح معنوية مرتفعة وقوية للدفاع وتحمل العذاب والأذى في سبيل الدعوة، وأصبحت الجماعة الأولى وحدة متماسكة لا تؤثر فيها حملات العدو النفسية، ولا تجد لها مكانًا في هذه الجماعة عن طريق المؤاخاة بين المسلمين، فقد أصبحت رابطة الأخوة في الله تزيد على رابطة الدم والنسب، وتفضلها في الدين الإسلامي، وتعايش الرعيل الأول بمعاني الأخوة الرفيعة القائمة على الحب والمودة والإيثار، وكانت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تفعل فعلها في نفوس الصحابة، فكان صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على الأخوة والترابط والتعاون وتفريج الكرب لا لشيء إلا لرضى الله سبحانه، لا نظير خدمة مقابلة أو نحو ذلك، وإنما يفعل المسلم ذلك ابتغاء وجه الله وحده، وهذه المبادئ هي سر استمرار الأخوة الإسلامية، وتماسك المجتمع الإسلامي، وبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه سبحانه وتعالى: «المتحابون في جلالي، لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

وهكذا أصبحت الأخوة الصادقة من مقاييس الأعمال، وأصبحت المحبة في الله من أفضل الأعمال، ولها أفضل الدرجات عند الله، وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من أن تهون عليهم هذه الرابطة، ووضع لهم أساس الحفاظ عليها، فقال لهم: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا».

واستعان النبي صلى الله عليه وسلم في ربط المجتمع الداخلي، وتوحيد جبهته لتكون قوية في مواجهة الحرب النفسية الموجهة ضدها، بالمساواة بين أفراد هذه الجبهة وإعطائهم الحرية، فهم لا يدخلون إلى هذا المجتمع إلا بالحرية، لم كانت لهم في داخله حرية الرأي، وحرية التعبير والمشورة، أتى محمد صلى الله عليه وسلم بمبدأ المساواة بين جميع الناس، الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، وبين جميع الطبقات، وقد كان لهذا المبدأ العظيم أكبر الأثر في نفوس أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلهم يتحابون ويتماسكون ويفتدون بأرواحهم ويدافعون عنه بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة، فهو صلى الله عليه وسلم لم يقر تفاوتًا بين البشر، بسبب مولد أو أصل، أو حسب أو نسب أو وراثة، أو لون.

الاختلاف في الأنساب والأجناس والألوان، لا يؤدي إلى اختلاف في الحقوق والواجبات أو العبادات، فالكل أمام الله سواسية، وعندما طلب أشراف مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مجلسًا غير مجلس العبيد والضعفاء، حتى لا يضمهم وإياهم مجلس واحد، بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن جميع الناس متساوون في تلقي الوحي والهداية، ورفض كفار مكة وسادتها في ذلك الوقت أن يجلسوا مع العبيد، ومن يعتبرونهم ضعفاء أذلاء من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن الكريم بقوله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا» [الكهف: 28، 29] بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أعرض عن ابن أم مكتوم الأعمى، منشغلا بمحاورة بعض الأشراف، عاتبه الله أشد العتاب.

وكان من أكبر أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في ربطه المجتمع الإسلامي وتوحيده، وتقويته للجبهة الداخلية، وجعلها قوية البنيان متماسكة، ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم من التكافل المادي، والمعنوي بين المسلمين، ليعين منهم القوي الضعيف، وليعطف الغني على الفقير، ولم يترك صلى الله عليه وسلم ثغرة واحدة تنفذ منها الحرب النفسية إلى هذا الصف الإسلامي الأول، وأصبحت الجماعة الأولى صخرة عظيمة، تحطمت عليها كل الجهود والخطط التي بذلها زعماء مكة للقضاء على الدعوة.

نور الله جعل الكون كله طليقاً من القيود والحدود تتصل فيه السماوات بالأرض

في اللقاءين السابقين مع سورة النور عالج السياق أغلظ ما في الكيان البشري، ليرققه ويطهره ويرتفع به إلى آفاق النور. عالج غرامة اللحم والدم، وشهوة العين والفرج، ورغبة التجريح والتشهير، ودفعة الغضب والغيظ، وعالج الفاحشة أن تشيع في النفس وأن تشيع في الحياة، وأن تشيع في القول. عالجها بتشديد حد الزنا وحد القذف. وعالجها بعرض نموذج شنيع فظيع من رمي المحصنات الغافلات المؤمنات. وعالجها بالوسائل الواقية: بالاستئذان على البيوت وغض البصر وإخفاء الزينة، والنهي عن مثيرات الفتنة، وموقظات الشهوة. ثم بالإحصان، ومنع البغاء، وتحرير الرقيق.. كل أولئك لياخذ الطريق على دفعات اللحم والدم، ويهيئ للنفوس وسائل العفة والاستعلاء والشفافية والإشراق.

وفي أعقاب حديث الإفك عالج ما تخلف عنه من غضب وغيظ، ومن اضطراب في المقاييس، وقلق في النفوس. فإذا نفس محمد - رسول الله (ص)- مطمئنة هادئة. وإذا نفس عائشة - رضي الله عنها - قريرة راضية. وإذا نفس أبي بكر - رضي الله عنه - سمحة صافية. وإذا نفس صفوان بن المعطل - رضي الله عنه - قانعة بشهادة الله وتبرئته. وإذا نفوس المسلمين أبية تائبة. وقد تكشف لها ما كانت تخبط فيه من التيه، فثابت إلى ربها شاكرة فضله ورحمته وهدايته..

بهذا التعليم. وهذا التهذيب. وهذا التوجيه. عالج الكيان البشري، حتى أشرق بالنور وتطلع إلى الأفق الوضيء واستشرق النور الكبير في آفاق السماوات والأرض، وهو على استعداد لتلقي الفيض الشامل الغامر في عالم كله إشراق، وكله نور: «الله نور السماوات والأرض».

وما يكاد النص العجيب يتجلى حتى يفيض النور الهادئ الوضيء، فيغمر الكون كله، ويفيض على المشاعر والجوارح، ويتسكب في الحنايا والجوانح، وحتى يسبح الكون كله في فيض النور الباهر، وحتى تعانقه وترشفه العيون والبصائر، وحتى تنزاح الحجب، وتشف القلوب، وترف الأرواح ويسبح كل شيء في الفيض الغامر، ويتطهر كل شيء في بحر النور، ويتجرد كل شيء من كثافته وثقله، فإذا هو انطلاق ورفرفة، ولقاء ومعرفة، وامتزاج والفة، وفرح وحبور وإذا الكون كله بما فيه ومن فيه نور طليق من القيود والحدود، تتصل فيه السماوات بالأرض، والأحياء بالجماد، والبعيد بالقريب وتلتقي فيه الشعاب والدروب، والطوايا والظواهر، والحواس والقلوب.

«الله نور السماوات والأرض»

النور الذي منه قوامها ومنه نظامها، فهو الذي يهبها جوهر وجودها، ويودعها ناموسها، ولقد استطاع البشر أخيرا أن يدركوا بعلمهم طرفا من هذه الحقيقة الكبرى، عندما استحال في أيديهم ما كان يسمى بالمادة - بعد تحطيم الذرة - إلى إشعاعات منطلقة لا قوام لها إلا النور! ولا «مادة» لها إلا النور! فذرة المادة مؤلفة من كهارب وإليكترونيات، تنطلق - عند تحطيمها - في هيئة إشعاع قوامه هو النور! فأما القلب البشري كان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون وقرون، كان يدركها كلما شف ورف، وانطلق إلى آفاق النور، ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله (ص) ففاض بها وهو عائد من الطائف، نافض كفيه من الناس، عائذ بوجه ربه يقول: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة»، وفاض بها في رحلة الإسراء والمعراج، فلما سألته عائشة: هل رأيت ربك؟ قال «نور أنى أراه».

ولكن الكيان البشري لا يقوى طويلا على تلقي ذلك الفيض الغامر دائما، ولا يستشرف طويلا ذلك الأفق البعيد. فبعد أن جل النص هذا الأفق المترامي، عاد يقارب مداه، ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود، في مثل قريب محسوس:

«مثل نوره كمشكاة فيها مصباح. المصباح في زجاجة. الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. نور على نور».

وهو مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود، ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملي الأصل. وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير.

ومن عرض السماوات والأرض إلى المشكاة، وهي الكوة الصغيرة في الجدار غير النافذة، يوضع فيها المصباح، فتحصر نوره وتجمعه، فيبدو قويا متألقا: (كمشكاة فيها مصباح).. (المصباح في زجاجة)، تقيه الريح، وتصفي نوره، فيتألق ويزداد، (الزجاجة كأنها كوكب دري)، فهي بذاتها شفافة رائقة صافية منيرة.. هنا يصل بين المثل والحقيقة. بين النموذج والأصل. حين يرتقي من الزجاجة الصغيرة إلى الكوكب الكبير، كي لا ينحصر التأمل في النموذج الصغير، الذي ما جعل إلا لتقريب الأصل الكبير، وبعد هذه اللفتة يعود إلى النموذج. إلى المصباح:

«يوقد من شجرة مباركة زيتونة، ونور زيت الزيتون كان أصفى نور يعرفه المخاطبون. ولكن ليس لهذا وحده كان اختيار هذا المثل، إنما هو كذلك الظلال المقدسة التي تلقيها الشجرة المباركة. ظلال الوادي المقدس في الطور، وهو أقرب منابت الزيتون لجزيرة العرب. وفي القرآن إشارة لها وظلال حولها: «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين»، وهي شجرة معمرة، وكل ما فيها مما ينفع الناس، زيتها وخشبها وورقها وثمرها، ومرة أخرى يلتفت من النموذج الصغير ليذكر بالأصل الكبير. فهذه الشجرة ليست شجرة بعينها وليست متحيزة إلى مكان أو جهة، إنما هي مثل مجرد للتقريب: «لا شرقية ولا غربية»، وزيتها ليس زيتا من هذا المشهود المحدود، إنما هو زيت آخر عجيب: «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار»، فهو من الشفافية بذاته، ومن الإشراق بذاته، حتى ليكاد يضيء بغير احتراق، «ولو لم تمسسه نار»، «نور على نور»، وبذلك نعود إلى النور العميق الطليق في نهاية المطاف!

إنه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض. النور الذي لا تدرك كنهه ولا مداه. إنما هي محاولة لوصل القلوب به، والتطلع إلى رؤياه: «يهدي الله لنوره من يشاء»، ممن يفتحون قلوبهم للنور فتراه، فهو شائع في السماوات والأرض، فائض في السماوات والأرض، دائم في السماوات والأرض، لا ينقطع، ولا يحتبس، ولا يخبو، فحيثما توجه إليه القلب رآه، وحيثما تطلع إليه الحائر هداه، وحيثما اتصل به وجد الله.

إنما المثل الذي ضربه الله لنوره وسيلة لتقريبه إلى المدارك، وهو العليم بطاقة البشر: «ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم».

الشحناء التي كرهها الإسلام هي التي تنشب من أجل الدنيا وأهوائها

لا ثواب للصلوات إلا إذا اقترنت بصفاء القلب

الإسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين، ليغسلها من أدران الحقد الرخيص، وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة. في كل يوم، وفي كل أسبوع، وفي كل عام تمر النفوس من آداب الإسلام في مصفاة تحجز الأكدار، وتنقي العيوب، ولا تبقى في الأفئدة المؤمنة إلا ما من صفينة.

أما في كل يوم؛ فقد أوضح الإسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس، وفراغه من الغش والخصومات. قال رسول الله: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا: رجل أمّ قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان».

وأما في كل أسبوع، فإن هناك إحصاء لما يعمله المسلم، ينظر الله فيه ليحاكم المرء على ما قدمت يداه، وأسرّه ضميره، فإن كان سليم الصدر نجا من العثار، وإن كان ملوثا بمآثم الغضب والحسد والسخط، تأخر في المضمار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس: فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم ولكل امرئ لا يشرك بالله شيئا، إلا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا». وأما في كل عام فبعد تراخي الليالي وامتداد الأيام، لا ينبغي أن يبقى المسلم حبيسا في سجن العداوة، مغلولا في قيود البغضاء. فإن لله في دنيا الناس نفحات لا يظفر بخيرها إلا الأصفياء السمحاء! ففي الحديث: «إن الله عز وجل يطلع على عباده، ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم» فمن مات بعد هذه المصافي المتتابعة، والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه، فهو جدير بأن يصلى حر النار فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره، لا تعجز النار عن الوصول إلى قراره، وكي أضغانه وأوزاره.

والشحناء التي كرهها الإسلام وكره ما يدفع إليها أو ينشأ عنها، هي التي تنشب من أجل الدنيا وأهوائها، والطماعية في اقتناص لذائذها والاستئثار بمتاعها أما البغض لله، والغضب للحق، والثورة للشرف، فشأن آخر.. وليس على المسلم جناح في أن يقاطع حتى الموت، من يفسقون عن أمر الله، أو يعتدون على حدوده، وليس عليه من لائمة في أن يكن لهم البغضاء، ويعالنهم بالعداء بل إن ذلك من أمارات الإيمان الصحيح، والإخلاص لله وحده وقد أمر الله عز وجل أن نجافي أعداءه، ولو كانوا أقرب الناس إلينا: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون».

وابتعاد المسلم عمن تسوء صحبتهم أو من يغرون بالتهاون والهزل واجب، وابتعاده عمن أخطأ في حق الله عقابا له، إلى أجل محدود أو ممدود، لا شيء فيه، فقد هجر النبي بعض نسائه أربعين يوما، وهجر عبدالله بن عمر ولدا حتى مات؛ لأنه رد حكما لرسول الله، كان أبوه يرويه في إباحة خروج النساء إلى المساجد.. القوة العقيدة المكينة معين لا ينضب للنشاط الموصول، والحماسة المذخورة، واحتمال الصعاب، ومواجهة الأخطار، بل هي سائق حثيث يدفع إلى لقاء الموت دون تهيب، إن لم يكن لقاء نحب مشتاق! تلك طبيعة الإيمان إذا تغلغل واستمكن، إنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله، فإذا تكلم كان واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا في عمله، وإذا اتجه كان واضحا في هدفه، وما دام مطمئنا إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تعمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلا إلى نفسه وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه، بل لا عليه أو يقول لمن حوله: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم».

هذه اللهجة المقرونة بالتحدي، وهذه الروح المستقلة في العمل، وتلك الثقة فيما يرى أنه الحق.. ذلك كله يجعله في الحياة رجل مبدأ متميز، فهو يعاشر الناس على بصيرة من أمره أن رآهم على الصواب تعاون معهم وإن وجدهم مخطئين نأى بنفسه واستوحى ضميره وحده. قال رسول الله: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت! ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم».

والرجل الضعيف، هو الذي يستعبده العرف الغالب، وتتحكم في أعماله التقاليد السائدة، ولو كانت خطأ يجر معه متاعب الدنيا والآخرة. وقد أحدث الناس في أفراحهم وأحزانهم بدعا شتى، وتواضعوا على الاستمساك بها أشد من استمساكهم بحقائق الدين نفسها.

■ ليس على المسلم جناح في مقاطعة المعتدين على حدود الله وأن يُكنّ لهم البغضاء

■ الرجل الضعيف هو الذي يستعبده العرف الغالب وتتحكم فيه التقاليد السائدة ولو كانت خطأ